حصاد 2020

تحدّيات لغوية عن بُعد

عام لم يكن شراً مطلقاً على الضاد

مع السلبيات التي رافقت العام، يمكن أن نرى نقطة مضيئة تتمثّل في ازدهار نسبيّ لمسارات تعليم الضاد وآدابها وقواعدها وحضارتها، عن بُعدٍ. ففي سُرعةٍ قياسيّة، تكيَّف الأساتذة والطلبة والباحثون مع وضعيّات التدريس الجديدة، رغم وجود قطيعةٍ رقميّة بين المناطق

نجم الدين خلف الله

أسدل السِّتار على سنة 2020، بعد أن تركت وهي ترتحل، إحْدى ألَم الأزمات الصِّحّيّة في عصرنا، بسبب من انتشار فيروس كورونا. لكن، من مفارقات الإقدار أن أبانت هذه الجائحة عن ابتكاريّة قُوى الثقافة العربيّة للتّكيّف مع أغلالها والعمل في ظروفٍ عَسيرة، مع غياب شبه تامّ للمؤسّسات الرسميّة. ولعلّ سرديّة التاريخ، التي سترويها الأجيال اللاحقة، أن تسجّل سورةَ التضامن الرائعة، التي ما عرفها مسار الضّاد من قبل. فقد شمّر الفاعلون في قطاع الثقافة عن سواعد الجِدّ، خلال فترة وجيزة، من أجل ملء غيابهم الجَسدي الذي فَرضتْه حركات الإغلاق وحَظر التجوّل.

وأولى علامات هذا النّشاط، ازدهار مسارات تعليم الضاد وآدابها وقواعدها وحضارتها، عن بُعدٍ. ففي سُرعة قياسيّة، تكيّف الأساتذة مع وضعيّات التدريس الجديدة، رغم وجود قطيعةٍ رقميّة بين البلدان والمناطق، والتزموا في المعاهد والجامعات، وحتى في المدارس، بمواصلة نشاطهم التربويّ والبحثي. فبعد فترة من التخبّط والبحث، توصّلوا إلى ابتكار مضامينَ بيداغوجيّة (وثائق سمعية-بَصريّة، تمارين تفاعليّة، أسئلة تعتمد التفكير بدل الحفظ والنقل الحرفي، تطبيقات، ورشات...) لتساعدَ الطلاّب على ملء فراغ خلْفه غيابهم.

ومن المبكّر اليوم أن نقيّم نتائج هذا التحوّل المفصلي الذي طاول مؤسّسات تعليم اللغات في بلداننا، قبل أن ينكبّ عليه علماء النفس المعرفي والتربية لمعاينة آثار الوسائل الرقميّة في اكتساب المهارات اللغوية وتمثلها وإعادة إنتاجها، لاسيما وأنّ غالب هذه المبادرات كانت عفويّة فرديّة، لم تسهم فيها مؤسّسات دُولنا إلا بالقليل. من جهة ثانية، نشطت كلّ الفعاليات الثقافيّة ذات الصلة باللغة، من محاضرات ولقاءات وترجمات ومسابقات وإعلان نتائجها ونَدوات فكريّة ودوائر مستديرة (...)، على مدارج الشّبكة الافتراضيّة. وكانَ اللغة وسورةُ الفكر يأبيان أن تنحصرا في سجن المكان ويستعصيان على الحَظر.

فضمنَ القيّمون عليها سيرًا شبه «عادي» لفعالياتهم. ولعلّ السهولة اللوجستية التي توفّرها تطبيقات مثل زووم، أسهمت في تكثيف هذه التظاهرات اللغويّة وإنعاشها، فرُبطت الصلات بين العديد من أساتذة العالم العربي ومفكّريه، بعد أن كانت المسافات الجغرافية تَمنع تعاوُنهم وتَحول التعقيدات اللوجستية من إجراء لقاءات بمثل هذه الكثافة. ففي ظرفٍ وجيز، صار لكل جامعة شبكة خاصّة، ونُظّمتْ لقاءات افتراضيّة تصل بين مشارق الوطن العربي ومغاربه، يغذّيها شغَفٌ لا يَهن بالضّاد، رابطةٍ لا تنفصم عُراها ولو في أعتى الأزمات. ومن رَحِم هذه الأزمة، تناسلت جهودٌ جبّارة بذلها العاملون في قطاع التعليم من أجل التأقلم السريع مع الغياب. ولم تكن لأغلبيتهم أدنى خبرة في مجال الأدوات الرقميّة. والأدهى أنّ العربية لا تتوفّر على مضامينَ بيداغوجيّة مَتينة متماسكة، متصوَّرة وَفقَ خطّة شاملة، إلا إذا استثنَينا ما قام به قسم «تعلّم العربية» في موقع «الجزيرة. نت» والذي شهد استعمالات مكثّفة، ولاسيما في ديار الغرب، لدى الناطقين بغير لساننا. وهو ما يَشي بقصور التعليم التقليدي للضّاد وينادي بضرورة تدارك عقودٍ من التخلّف البيداغوجي، مقارنةً بما تحقّق في تدريس اللغات الأخرى، التي تملك عشرات المواقع والنصوص والمستندات والوثائق، في حين لا نزال نَترَسّم الخطى الأولى في مَهامِهِ الشّبكة وثناياها.

ومن مظاهر هذا الترسّم ما انبَجَس، بعد بحثٍ، من فتْحِ المفردات والمصطلحات، فقد نجحت الضاد في توليد معجم كامل من الألفاظ الدّالة على ظواهر الوباء ومَرجعياته مثل: التباعد الاجتماعيّ والحَجر والغَلق والإجراءات الوقائيّة... وعشرات غيرها من الصّور والتراكيب طفحت بها الخطابات الطبّية والرسميّة والتي أظهرت كفاءة آليات الاستحداث في إيجاد المقابلات العربيّة، لما طرأ في الساحة العالميّة من المدلولات المقترنة بهذا الوباء. فقد تمكّن الصحافيّون والأطبّاء والساسة من ابتكار كلّ ما يلزم من الكلمات في سبيل الدلالة الرشيقة السليمة على هذه المدلولات من دون حَيْدٍ خطير عن قواعد اللغة وآليات التوليد.

إلا أننا لا يمكن أن نتغاضى عن ظاهرتَيْن وَسمتا هذا التعامل المعجميّ مع الجائحة:

فمن جهة أولى، لم يَظهر في الضاد قاموس خاصّ بمفردات الوباء، كما ظهر في اللغات الأخرى، التي رتّبت كل المفردات والعبارات المستحدثة للإشارة إلى ظواهره. ومن جهة ثانية، لم تَضمّ طبعات المعاجم العربية الجديدة، إن أنجزت، هذه المفردات إلى متونها حتّى يُسند لها حقّ الوجود ويُقرّ استخدامها أو يُرفض، فلا تبقى مجرد اجتهادات معزولة، تصارع من أجل البقاء في متاهات الاستعمال أمام هجمة العاميّات والأجنبيّ المقابلات. ويذكرُ مثلاً أن Le Petit Robert، المعجم الفرنسي قد ضمّ في طبعته السنوية العديد من المولّدات التي خلَفها ظهور كوفيد-19 في لسان موليار.

وأما الكُتب التي صيغت، هذه السنة، حول العربيّة فحصيلتُها ضعيفة، ومن أبرزها كتاب «رشفاتٌ من العربية: محاضراتٌ في التدقيق والتحرير» للباحث اللغوي الفلسطيني إلياس عطاء الله، (دراسات لسانية ومعجمية عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات») و«المعجم المدرسي: دراسة تحليلية للوافر وجيز» (منشورات «عالم الكتب الحديث») للباحث المغربي محمد الرفيق، وكتاب عبد العلي الودغيري «العربية أداة للوحدة والتنمية وتوطين المعرفة»، ثمّ كتاب «أوضاع اللغة العربية في القرن الأفريقي» لعبد النور حمد وعبد الوهاب بشير، و«الإنسان والعمران واللسان» لإدريس مقبول. وجلّها دراسات عادة لا تحمل اختراقًا فعليًا في مجال المعجَمة. وهكذا، فتنشيط فعاليات التعليم عن بُعدٍ والمبادرة بتوليد مفردات حادثة عن الجائحة واستمرار الدراسات المعجميّة العامّة، هي أبرز ملامح العمل على الضاد هذه السنة. وهي أنشطة تؤكد تلك المفارقة الأليمة: تواصل المجهودات الفردية المنعزلة والاجتهادات الشخصيّة وسط انشغال مؤسّسات الدّول العربيّة الثّقافية بما تعتبرُه ضرورات عاجلة. فهَل يجب تذكيرها أنّ الاعتناء بالضاد وتطويرها كلسان معاصر وتحسينَ أدوات تلقينها واكتسابها من بين أكد ضرورات هذه المؤسسات الساهرة على خدمة الشأن الثقافيّ؟ ما عسى الطالب بفعل، وهو محتجَز بين أربعة حيطان، ولا تتحدّث عن أبناء المخيمات وأحياء القصدير التي لا حيطان لها، إذ لم توفر له الدّولة ومراكز بحثها البيداغوجي وسائل تدريس اللغة ونصوصها وآدابها وقواعدها وحضارتها؟ نعني الكتْب، حدّا أدنى والياتٍ المعلوماتية وحواسيبها كافقٍ أمثل. وكيف له أن يتجاوز كارثيّة أوضاعه إنْ لم تمدّه بأبسط المستندات اللازمة لترسيخ معارفه وسط الخواء المريع الذي خلفه غياب المُعلم؟ ستبقى سورة هذا الأخير، وهو سجين مكتبه بيْته، يناضل من أجل استمرارية التعليم، من أجل ما ترويه الأجيال اللاحقة في سرديتها عن كوفيد وآثاره. كما سيسجّل مؤرّخو الضّاد كيف أسْعفتْ أهلَها بالعبارة عن كلّ وجوه الداء دلالةً وبيانًا، ونعم ما أبلت الضاد في إسعاف أهلها لمقاومة الوباء، حديثًا وسردًا، فلحمته الإنسان بتردّد ضداها أمام وزارات التربية المُغلقة ومجامع لغتها المتناحرة.

من إجراءات الوقاية من كورونا في مدرسة تونسية (Getty)

> نجحت الضاد في توليد معجم كامل جديد مرتبط بالوباء
>
> بقيت اللغة رابطة لا تنفصم عُراها ولو في أعتى الأزمات

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

عامان على المعجم

في نهاية 2018، جرى الإعلان عن «معجم الدوحة التاريخي للغة العربية» وانطلاق موقعه الكتروني، في انتظار اكتمال هذا المشروع في السنوات اللاحقة. موخّرا، كتب المفكر العربي عزمي على إطلاق المعجم ووضّح فيه «التحديات المقبلة»، حيث إن الفترة التي ينهمك عليها المشتغلون بالمعجم الآن (بين القرنين الثاني والسادس هجري) تمثل الثرى مرحلة عرفتها اللغة العربية في تاريخها.

معجم الدوحة التاريخي للغة العربية
The Doha Historical Dictionary of Arabic

تصويب

شاي أخضر وآلاف الضفادع

باسم النبريص

- شاي أخضر وماريًا لويسا (اسم لعُشبة تستعمل كدواء)
قال الطبيبُ وأضاف:
- انتهى زمنُ القهوة يا لويس أغابيتو.
- إنه فنجان في اليوم يا دكتور.
- لا، مُطلقاً!
غادر لويس «الكاب» وهو غاضب:
- ولمَ يأمرني حضرتُه كأنني طفل؟ أخضر وماريًا لويسا؟ لويسا وأخضر؟ تَبًّا للمشروبات الغريبة!
استقلّ لويس المترو من باي دي برون، واقتعد الكرسي الرباعي وحيداً.
استنشق بعمق ثانيةً، وحَنّ إلى العُمر الجميل: آلاف الصباحات والظهيرات والعشايا، عشرات آلاف الفناجين، وسبع غلّايات فقط.
نزَلَ لويس في أوركينا أونا، وقد وصَلَ إلى سنّ، يعرف فيه جميعُ البشر الفانين، أنّ:
«الحياة هي الحياة، والعالم هو العالم».
اختفى في الحشود وهو يمسح دمعةً من خلف نظارتيْه.

(شاعر فلسطيني يقيم حالياً في بلجيكا)

إطلالة

ماذا تروي لحفيدك؟

ممدوح عزام

كان جدي يحكي لنا عن اللصوص الذين يأتون ليلاً إلى منازل القرويين، في زمن شبابه، فينبشون الجدران ويتسللون إلى الداخل ويسرقون الأغنام أو الماعز أو الخيل، وفي مرات أخرى كانوا يتسللون إلى أي دار في غفلة من النيام وينهبون ما يستطيعون حمله من القمح والشعير. بينما كان لصوص آخرون يقطعون الطرق ليلاً أو نهاراً ويسطون على المتنقلين بين الأرياف، وقد اختار الناس أن يسموهم « الكسّارة». وفي الوعر القريب من القرية منطقة صخرية يصعب الوصول إليها، أو البحث بداخلها، بظن أن اللصوص وقطاع الطرق كانوا يتخذونها مقرات لهم، تحميهم وتخفيهم عن أعين الناس، ولهذا فقد سميت «الكسار».

وقد بدا ذلك العالم الذي يحكي عنه الجد جحيمياً يشبه الكوابيس، وكنا نحن الصغار نجلس مشدوهين من صورته القبيحة، حيث لا أمان ولا طمأنينة ولا حراس، عالم الأقوياء الشرسين، عالم الذئاب. لم يكن خيالنا يستطيع أن يستوعب ذلك الكم من الرداءة التي ينحدر إليها بعض البشر حين يغيب القانون والأخلاق معاً، ولم نكن قادرين على تصديق أن بوسع بعضهم الآخر أن يحتملوا حياة مسمومة بالخوف والحذر والترقب.

لهذا اعتقدنا أنها مجرّد حكاية ليلية ينتجها الخيال.

كان هذا في زمن طفولتنا، أما في الزمن الذي صرنا فيه نحن الأجداد فقد بدا كأنما نعيش في تكرار مرعب ومذل للتاريخ، أو كأننا بلا تاريخ، إذ لا يعقل أن يكون التكرار سريعاً وخاطفاً ومدمراً مثل زماننا، أو أن يكون التكرار علامة من علامات هذا التاريخ الغريب. فقد آلت الأمور إلى الماضي في حركة خاطفة وسريعة. فلم تمض بعد غير بضعة عقود على حكايات الجد حتى رأينا الزمان يعود إلى سابق عهده.

صارت الحكايات التي كانت تروى لنا مشاهد مرئية تجرّب يومياً: قلما يجرؤ أحد على السهر خارج بلدته اليوم. ولم تعد الطرق آمنة، وصار بوسع العصر الحديث أن يقدّم للصوص المعاصرين خدمات شتى، فلا ضرورة أن يأتوا لنبش الجدار بحثاً عن الأغنام، بل صاروا يقتحمون البيوت لإرغام أصحابها على دفع ما ادخروه من مال، وما عادوا يأتون في الليل، بل في وضح النهار، أي في العلن، هذا هو المعنى المعجمي للعبارة المجازية: وضح النهار.

كيف يمكن أن يكتب الروائي عن الخراب؟ يقف الروائي حائراً أمام اختيار الشخصيات المرشحة لأداء أي دور من الأدوار في روايته التي يخطط لكتابتها، فكثير من تلك الشخصيات تحولت إلى لصوص في الواقع الاجتماعي الذي يعيش ضمنه الكاتب، ومن الصعب إعادة تأهيلهم روائياً، أي من الصعب كتابة رواية تكذب على نفسها أو تكذب على الواقع. والمحزن في هذا الوضع الاستثنائي أن معظم تلك الشخصيات تنتمي واقعياً إلى ذلك العالم الفقير المحروم، وقد باتوا اليوم أعداء لعالمهم.

كل عبارة تكتب اليوم، تبدو كأنها مجرّد استعادة للحكاية القديمة. والأبطال المرشحون لا يتصفون بأي بطولة وقد فقدوا حسّهم الإنساني والأخلاقي، أما الآخرون فنحن الضحايا الهاربون إلى القواقع.

لم تعد ثمة حكايات تروى للحفيد حين يعيش الجد والأب والحفيد معاً في زمن اللصوص.

(روائي من سورية)

الكتب المترجمة نقاط مضيئة في سنة قاتمة

طرود في صندوق 2020

إذا كانت نتائج 2020 في مختلف المجالات تبدو هزيلة نظراً لتوقف الحياة لفترة مع إجراءات الحجر الصحّي، فإن حصاد الترجمة لم يكن سلبياً

مليكة ياسين

تتغذى كل لغة بما تنقله عبر قناة الترجمة من آداب العالم وأفكاره ليصل إلى مفرداتها ويغذّي مختلف قطاعاتها. في العربية، هناك وعي متزايد باهمية الترجمة وهو ما يتجسّد في ثبات حضور الكتاب المترجم ضمن الأطباق التي يعرضها الناشرون، وتوفّر سلاسل مخصّصة لنقل شتى معارف العالم، ناهيك عن تزايد عدد المتفرّغين للترجمة.

وإذا كانت نتائج 2020 في مختلف المجالات تبدو هزيلة نظراً لتوقف الحياة لفترة مع إجراءات الحجر الصحّي، فإن حصاد الترجمة ليس سلبياً بالمرة، ربّما لخصوصيات هذا المجال وعدم ارتباطه المباشر بحركية الحياة العامة. يمكن أن نسجّل علامتين تدلّان على هذا الوجه المشرق للترجمة في سنة قاتمة: ففي الشهر الأول من 2020 صدرت النسخة العربية من كتاب Médiocratie للباحث الكندي الآن دونو بعنوان «نظام التفاهة» وقد نقلته إلى العربية الباحثة الكويتية مشاعل عبد العزيز الهاجري (دار سؤال)، وهو عمل يعدّ من أشهر الأعمال الفكرية في العالم منذ صدوره في 2015. وانتهى العام بوصول كتاب مرجعي في العلوم الإنسانية مثل «أدوبو مضاداً» لـ جيل دولوز وفيليس غواتاري بترجمة التونسي عبد العزيز العبادي (دار الجمل).

على مستوى الانتظام، يمكن التنويه بسلسلة «ترجمان» التي يصدرها «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، وضمنها وصلت إلى العربية أعمال أبرزها: «نظرية الفعل التواصلي» ليورغن هابرماس (ترجمة فتحي المسكيني)، و«فلسفة النقود» لـ جورج زيمل (عصام سليمان)، و«الديموغرافيا» لـ هنري لوي (منى الشريقي)، و«النظرية الجنوبية: علم الاجتماع والديناميات العالمية للمعرفة» لـ ريوين كونيل (فاروق منصور).

على المستوى الفكري، يمكن الإشارة أيضاً إلى تنشّط ترجمات المؤلفين العرب أو ذوي الأصول العربية والشرقية، من ذلك أعمال مثل: «عناصر من الحدث المسرحي في البلاد التونسية» لـ بدرة بشير (ترجمة: محمد الديوني، معهد تونس للترجمة)، و«آثار استعمارية: تشكل الهوية الوطنية في الأردن» لـ جوزيف مسعد (شكري مجاهد، مدارات)، و«القرآن والشريعة: نحو دستورية إسلامية جديدة» لـ وائل حلاق (أحمد محمود إبراهيم ومحمد المراكبي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر).

أما أدبياً، فيمكن الإشارة إلى أن 2020 شهدت اكتمال عقد روايات أمبرتو إيكو في العربية مع صدور «الشعلة الخفية للملكة لوانا» عن «دار الكتاب الجديد»، وقد نقله إلى العربية المترجم السوري معاوية عبد المجيد. كما اكتملت «يوميات تولستوي» (ستة أجزاء) بترجمة يوسف نبيل عن «دار آفاق».

من لوحة لـ صلاح شاهين: اكريليك على قماش

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

تلويحات

في ايلول/سبتمبر 2019، رحل الكاتب والصحافي والناشر السوري **رياض نجيب الرّيّس** (1937 - 2020) الذي عُرف - إلى جانب مسيرته الصحافية الثرية - بدار نشر اسّسها عام 1987 وحملت اسمه، وكان مشروعه فيها إتاحة المجال لما هو مسكوت عنه وغير قابل للتداول في البلدان العربية.

في نيسان/ابريل، رحل المعماري العراقي **رفعة الجادرجي** (1926 - 2020) من لندن. يحضر الجادرجي في الثقافة العربية على صعيدين؛ أوّلهما اثره المعماري ومنه تصميمه لنصب الجندي المجهول في ساحة الفردوس في بغداد. وثانيهما كتاباته الفكرية حول المعمار مثل: «في سببية وجدلية العمارة» و«صفة الجمال في وعي الإنسان»، و«شارع طه إلى هامرسميث»، و«الاخيضر والقصر البلوري».

رحل ايضا العام الماضي الباحث المغربي في الفلسفة **محمد وقيدي** والذي كان له اسهام بارز في تاصيل حقل الابستيمولوجيا في الثقافة العربية من خلال اعمال مثل «فلسفة المعرفة عند باشلار» و«ما هي الابستيمولوجيا». كما اشتغل على دراسة الفلسفة العربية المعاصرة وكيفية كتابة التاريخ وعلى الفكر التربوي.

في اواخر السنة المنقضية، رحل الكاتب التونسي **جلبار نقاش** (1939 - 2020) الذي عُرف بتجربته النضالية ضمن اليسار التونسي، وعنها انجز اشهر اعماله رواية «كريستال» (1982) ضمن ادب السجون. من اعمال نقاش الاخرى: «ماذا فعلت بشبابك؟»، و«البطريق وقصص اخرى»، و«نحو الديمقراطية؟».